موقف شعراء الأندلس النقاد من الطبع والصنعة منذ عصر الإمارة إلى نهاية عصر الطوائف

أ.م.د محمد شهاب العاني **السيد محمود شاكر محمود**
جامعة الأنبار - كلية الآداب - قسم اللغة العربية

ان موضوع الطبع والصنعة صاحب نشاط النقاد العرب ردحا طويلا من الزمن ، ونال من عنايتهم واجتهادهم الكثير ، وما يخلو كتاب من كتب النقد والادب والبلاغة من وقفة يعلن فيها الاديب عن رأيه ويحكم فيها ذوقه إزاء مسألة الطبع والصنعة في عمل الشِّعر ، بل هي لازمة من لوازم النقد اعتاد عليها الناقد الادبي وفَصَّل القول فيها.
فالطبع قيمة جمالية تدل على أصالة الموهبة والاستعداد ، والصنعة قواعد واصول فنيّة يحتذيها الشاعر الصانع في عمل الشعر.
وتجاذب النقاد بين المذهبين: الشعراء أصحاب الصنعة ، والشعراء أصحاب الطبع وتبارى الطرفان في النقد، وطرقوا الكثير من المسائل و ألّفوا فيها الكتب كلٌ حسب رأيه واعتقاده ، يؤيد الشاعر الذي يمثل مذهبه ويعارض من يخالفه مبيناً فيما يكتب محاسن ما ذهب إليه ومقابح ماذهب اليه الآخرون .
إلى ان جاء فريق ثالث نظر بعين الإنصاف إلى القضية ، ورأى أنه لابد لابداع الشاعر في شعره من طبع بمعنى الموهبة أو الحس الفني ، ومن صناعة بها يتم نظم الشعر وتأليفه ، فالطبع والصناعة مرتبطان معاً أو متداخلان في عملية ابداع الشعر(١).

وفي الاندلس كان للشعراء النقاد وقفات في هذا المجال بدأت مبكراً منذ عصر الامارة وماتلاه من عصور، فابن عبد ربه أدرك اهمية الطبع ، ورأى عدم إمكانية قول الشعر ما لم يكن هناك طبع فطري ، حتى وإن أجهد المتعلم نفسه بالدراسة والتوسع بالمعرفة ، فإنّ ذلك غير مثمر ((ما لم تكن الصناعة ممازجة لذهنك وملتحمةبطبعك))(٢) فيقرر ارتباط الشاعر بانبثاق ملكته في نفسه ، فبدونها لا يكون شاعراً وإن اجهد نفسه في الصنعة.ويرى في موضع آخر ان الشاعر المطبوع هو الذي لا يجهد طبعه ولا يكلف نفسه ؛ (لأن مدار كل شيئ على طبعه ، والتكلف مذموم من كل وجه))(٣) لذلك نرى ابن عبد ربه يركز في اختيارات عقده على ما يشحذ الطبع ويصقل الموهبه فيتخير مقطوعات متعددة في اغراض شتى ، كرقة التشبيب التي اختار لها من شعر العباس بن الاحنف و جميل معمر و عمر بن أبي ربيعة ؛ وقدّم لقصيدة العباس بن الاحنف بما يفصح عن غايته في شحذ الطبع وصقل الموهبة بقوله : ((ومن الشعر المطبوع الذي يجري مع النفس رقة ، ... قول العباس بن الاحنف ...))(٤) او قوله مقدما لشعره ((ومن قوله في التشبيب والشعر المطبوع الذي ليس بدون ما تقدم ذكره ...))(٥)
و ابن عبد ربه في تأكيده على عدم اجهاد الطبع وترك التكلف لا يخرج عمّا قرره نقاد المشارقة قبله ، فبشر بن المعتمر وصى في صحيفته على ترك المجاهدة والكد و اتعاب الخاطر ؛ لأن الاديب لا يجني وراء ذلك غير التعسف و الاستكراه و عليه ان يكون منقاداً لطبعه لا يجهده و لا يقسره.(٦) اما ابن شهيد فينبه الى أن البيان _نتاج الطبع _ ملكة تخلق مع الإنسان وكأنها هبة من الله تعالى له ، فالبيان ((من تعاليم الله تعالى حيث قال : { الرحمن ، علم القران ، خلق الإنسان ، علمه البيان } الرحمن ١-٤ (٧)
فالطبع ملكة فطرية ومنحة الهية تولد مع الإنسان وتوفر الاستعداد الفطري المواتي للشاعر شيئ يراه ابن شهيد لابد منه ؛ بوصفه دليلا على جودة الموهبة وقوة الشاعرية .
وليس هذا معناه أن ابن شهيد ينكرفضل الثقافة التي تعد مقوماً مهماً في حراسة الطبع ، بل أنه يقر بفضلها ويعترف بفائدتها بوصفها عاملا مساعدا في نمو الطبع وتقويمه ، وهذه الثقافة تعني لدى ابن شهيد – فيما تعنيه – معرفة النحو وغريبه ، فـ((إصابة البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب واستيفاء مسائل النحو ، وإنّما يقوم بها الطبع مع وزنه من هذين : النحو والغريب)) (٨) ففي هذه العوامل المساعدة تكتمل عناصر الإبداع الأدبي التي يحتاجها الشاعر لتنمية قابليته وإمكانياته وتطويرها ودفعها إلى الأمام ، وهو ما رامه ابن شهيد لمّا تصدى لجملة من الناثرين الأندلسيين قائلاً فيهم : كلامهم ((ليس لسيبويه فيه عمل ، ولا للفراهيدي إليه طريق ولا للبيان عليه سمة ، إنما لكنة أعجمية))(٩) فالاديب ولا ريب

بحاجة الى عناصر الاطار الثقافي لأنه ((لا ينهض ولايستقيم إلا بتوافرها))(١٠) لكن ليس على حساب الطبع.ونظراً لأهمية الطبع لدى ابن شهيد فقد راح يقسم الادباء حسب تمكنهم منه ، بوصفه مما يمدح به الشاعر لدى اغلب النقاد، فيرى أنّ ((اهل صناعة الكلام متباينون في المنزلة، متفاضلون في شرف المرتبة على مقدار إحسانهم وتصرفهم فمنهم الذي ينظم الاوصاف ويخترع المعاني ويحرز جيد اللفظ ، إلا أنه يصعب عليه الكلام ويكد قريحته التأليف ...، ومنهم الكارع في بحر الغزارة ، القادح بشعاع البراعة الذي يمر مرّ السيل في إندفاعه والشؤبوب في انصبابه لا يشكو الفشل ولا يكل طول العمر إذا ازدحمت في الكلام عليه المطالب وعلقت بحواشي فكره المآرب ، وحشرت عليه الصعائب والغرائب ؛ استقل بها كاهله واضطلع بثقلها غاربه... ومنهم من يتجافى الكلام ويروغ عن المقال فإذا مني به أخذ بأطراف المحاسن وشارك في انحاء من الصنعة ، وجُل ما عنده تلفيق وحيلة ، وبذلك يصاحب الأيّام ويجري أبناء الزّمان ما كان له عقل يغطي على نقصانه وسياسة يسوس بها فحول زمانه))(١١) وهذا التحديد قائم على تمثل الاسلوب وملاحظة الجهد المبذول فيه والذي هو من صميم عمل الطبع لكن ابن شهيد لا يقدم لنا شواهد ينطبق عليهم هذا التصنيف، ولربما كان في ذهنه أمثلة من الادباء يجرون هذا المجرى ولكنه ترك المسألة يلفها الغموض ولم يقدم لنا صورة دقيقة عن هذه الطوائف من الادباء فاكتفى بتقسيمهم إلى ثلاث طوائف:

الطائفة الاولى: ((أصحاب الطبع المصنوع ، وهم الذين لايتاتى لهم الكلام إلا بكد القريحة ، فلا يتجاوزون الابيات القليلة والمقطعات القصيرة))(١٢). وهنا يذكر ابن شهيد القريحة ويربط بينها وبين قّلة الشعر وكثرته ؛ ولا علاقة البتة بين جودة القريحة ومجموع الشعر. فقد يكون من هو اجود قريحة أقل شعراً من آخر دونه في جودة القريحة وكثرة الشعر ؛ فابن سلام في طبقاته حين تحدث عن الكميت بن معروف ثالث شعراء الطبقة الجاهلية العاشرة قال: ((هو شاعر، وجده الكميت بن ثعلبة شاعر ، والكميت بن زيد الآخر شاعر والكميت بن معروف أشعرهم قريحة ، والكميت بن زيد أكثرهم شعراً)) (١٣)

الطبقة الثانية: ((أصحاب التدفق والغزارة في البديهة والروية))(١٤) فيرى ابن شهيد أنّ هناك شعراء يقولون شعراً جيداً في البديهة والروية . وهذا من الإستحالة بمكان؛ فالبديهة هي : ((الكلام الذي يقوله قائله مفاجأة دون إعداد او تحضير))(١٥)
والروية معناها : ((النظر والتفكير في الكلام قبل وضعه ؛ حتى يتصف بالجودة والإحكام))(١٦)
فالشاعر وإن اجهد نفسه لا يقدر على تحقيق التساوي في الجودة بين شعر البديهة الذي يتصف بسرعة النظم والمفاجأة التي تكون في أحيان كثيرة بعيدة عن النضج وبين شعر الروية الذي أنضجته معاودة النظر والتاني وقد وصف هذا كله ابن الرومي بقوله :(١٧)

نارُ الرَّويَّةِ نارٌ جِدُّ مُنْضجةٍ
وللبديهةِ نارٌ ذاتُ تلْويح
وَقَد يُفَضِّلُها قَوْمٌ لِعَاجِلِها
لكنَّهُ عاجلٌ يمضي مع الرِّيح

والشعراء لم يكونوا يرون في تهذيب الشعر وتنقيحه الخفيف واسقاط الردئ منه تعارضاً مع الطبع، بل كان ذلك موضع إعتداد وفخر لدى الشاعر ؛ لأنه لا يقبل كل ما تورده قريحته ويجود به طبعه ، بل هو يسعى إلى الكمال.
وقد روي انّ بعض الشعراء قال : ((لرجلٍ : أنا اقول في كل ساعة قصيدة وأنت تقرضها في كل شهر ، فلم ذلك ؟ قال لأنني لا أقبل من شيطاني مثل الذي تقبلُ من شيطانِكَ))(١٨)
وانشد عقبة بن رؤبة أباه رؤبة بن العجاج شعراً وقال له ((كيف تراه؟ قال: يابُنَيَّ إن أباك ليعرض له مثل هذا يميناً وشمالاً فما يلتفت إليه))(١٩)
وعليه فالشاعر الذي يقوم بعملية تثقيف شعره وتهذيبه ، خير من الشاعر الذي يرمي بكل ما تجود به قريحته : جيده ورديئه فالشاعر الجيد هو من إذا جاءه البيت عفواً أثبته ثمّ رجع إليه فنقّحَه وصَفّاه من كدره؛ ((لأن البيت وقع مطبوعاً في غاية الجودة ثمَّ وقع في معناه بيت مصنوع في النهاية الحسن لم تؤثر فيه الكلفة ولا ظهر عليه التَعَمل ؛ كان المصنوع أفضلهما))(٢٠)؛ لأن الشاعر تبعده سرعة القول على البديهة ((من تثقيف قصيدته وتهذيبها لذلك كانت الرويّة احسن من البديهة))(٢١) وذلك ((لأن معاني الشعر تستخرج بالفكرة والروية))(٢٢) ، ومن هنا كانت استعارة الاودية في قوله تعالى{{ والشعراء يتبعهم الغاوون، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهْيمَونَ}} الشعراء /٢٢٤-٢٢٥. من الإصابة بمكان؛ لأن الباري –تبارك وتعالى- ((استعار الاودية للفنون والاغراض من المعاني الشعرية ، ولم يستعر الطرق والمسالك))(٢٣) ؛ لأن ((الروية فيها خفاء وغموض ؛ فكان استعارة الاودية لها أشبه وأليق))(٢٤).

والطائفة الاخيرة: ((أصحاب الصنعة الماهرة ، ذوو الحيلة في الزخرفة، ولكنهم لا يصيبون من الإحسان إلا قليلاً))(٢٥)
ويهاجم ابن شهيد في هذه الطائفة أصحاب الصنعة ويرميهم بقلة الاحسان في شعرهم ، فالصنعة تدل ((على قول الشعر والقصد الى تجويده بمشقة وأعمال ذهن))(٢٦)، وقد احسن ابن شهيد حين رماهم بصفات لا تخرج في فحواها عن ضعفهم نتيجة إهتمامهم بالزخرفة اللفظية التي يرون أنهم بوساطتها يغطون على نقص موهبتهم وجفاء طبعهم ، فالصنعة أكثر ما تظهر آثارها في الالفاظ والتراكيب . فهذا ابن طباطبا يعيب على جرير قوله : (٢٧)

غَيَّضْنَ مِنْ عَبْراتِهِنَّ وقلن لي
ماذا لَقِيْتَ من الهوى ولقينا
إنَّ الذين غدوا بِلُبِّكَ غادروا
وَشَلاً بِعَيْنِكَ ما يزال معينا

قائلاً: ((فالمستحسن من هذه الابيات حقائق معانيها الواقعة لاصحابها الواصفين لها، دون صنعة الشعر وأحكامه))(٢٨) فابن طباطبا فرّق بين صنعة الشعر ومعانيه، وردّ جودة هذين البيتين إلى المعاني دون ما فيها من الصنعة المبالغ فيها وإحكام الالفاظ في التراكيب والمفردات.

وابن شهيد في تقسيمه هذا ، لا نبعد تأثره بالباقلاني الذي حدد أربع طوائف من الشعراء ، حين تصدى للحديث عن طبائع الشعراء في النظم، فمنهم من يختار الكلام المتين والقول الرصين ، ومنهم من يختار الكلام الذي يروق ماؤهُ وتروع بهجته ويَسْلَسُ مأخذه ويسلم وجهه ومنفذه ويكون قريب التناول غير عويص اللفظ ولا غامض المعنى ، ومنهم من يختار ما يغمض معناه ويغرب لفظه ولا يختار ما سهل على اللسان وسبق الى البيان ، ومنهم من يتخير الالفاظ الرشيقة للمعاني البديعة والقوافي الواقعة؛ وهو ما جعله افضل الشعر(٢٩) فكلاهما بنى تقسيمه على اساس الطبع والصنعة ، وكلاهما لم يعطِ صورة واضحة لأمثلة من الادباء ، فَلُفَّ حديثهما بالغموض.

ويصنف ابن شهيد الشاعر المطبوع الى صنفين: مطبوع لاينقح ، ومطبوع يعنى بقليل من التنقيح بحيث يسلم شعره من التكلف.

فالصنف الاول هو الذي قصده بقوله: ((ما يطلع من الصور ناقصاًعن الدرجة الاولى في الكمال والتمام))(٣٠) والصنف الاخر هو الذي رماه بقوله : ((يطلع صور الكلام والمعاني في أجمل هيئاتها وأرق لبساتها))(٣١) ولربما كان ابن شهيد في صنفيه هذين قد اطلع على قول ابن قتيبة والاصمعي ومزج بينهما فخرج بهذه التوليفة، التي ترد شعر الشاعر عامة الى الطبع.

فابن قتيبة يرى ان ((المطبوع من الشعراء من سمع بالشعر، واقتدر على القوافي وأراك في صدر بيته عجزه، وفي فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة)) (٣٢) ولعل هذا المطبوع هو الذي قصده ابن شهيد من انه يطلع الكلام والمعاني في اجمل هيئاتها وارق لبساتها.

والاصمعي يرى ان ((الشاعر المطبوع: الذي يرمي بالكلام على عواهنه : جيده على رديئه)) (٣٣) ولعل هذا الصنف الذي يختلط اخضر شعره ببابسه هو الذي قصده ابن شهيد بوصفه ناقصاً على الدرجة الاولى.

ويلفت ابن شهيد نظر الشعراء الى أهمية التنقيح الخفيف الذي لا يؤدي الى استكراه الطبع ، بوصيته على لسان أحد توابعه ((فإذا دعتك نفسك إلى القول فلا تكد قريحتك فأذا اكملت فجمام ثلاثة لا أقل ونقّح بعد ذلك)) (٣٤)

ويبيدو ان ابن شهيد قد تأثر بأبي نواس الذي كان ((يعمل القصيدة ويتركها ليلة ثم ينظر فيها فيلقي أكثرها ويقتصر على العيون))(٣٥)

وهذا التنقيح الخفيف الذي يخرج صاحبه عن نطاق المطبوعين والذي رامه ابو نواس ونادى به ابن شهيد ، وهو بعينه الذي كان يعمل به بشار بن برد، الذي عدّه الجاحظ وهو يذكر الشعراء المطبوعين انه ((أطبعهم كلّهم))(٣٦) فقد كان يختار في شعره أيضاً.

يروى انه قيل له ((بِمَ فقت اهل عمرك ، وسبقت اهل عصرك في حسن معاني الشعر وتهذيب ألفاظه؟ فقال : لاني لم اقبل كل ما تورده عليّ قريحتي ويناجيني به طبعي ويبعثه فكري ، ونظرت إلى مغارس الفطن و معادن الحقائق ولطائف التشبيهات فسرت اليها بفهم جيد و غريزة قوية فأحكمت سيرها و انتقيت حرها وكشفت عن حقائقها و احترزت من متكلفها))(٣٧) وكذلك البحتري الذي لم نر من ينعته بالتكلف ، ومع ذلك كان ((يلقي من كل قصيدة يعملها جميع ما يرتاب به))(٣٨) وعليه فكثرة التنقيح و شدة الاحتفال به ، هي التي تخرج بالشعر الى التكلف دون التنقيح الخفيف الذي لا يحرف شعراء الطبع عن طبعهم.

و لعل من نافلة القول ونحن نضع القلم ونكفه عن آراء ابن شهيد في قضية الطبع والصنعة ، أن نذكر رأيا لبعض الباحثين ، لما وضع مصطلح الغريزة مرادفا لمصطلح الطبع قائلا : ((بيد أن الغريزة ... لم تكن غريزة الا ستعمال كما كان الطبع مثلا ، فاذا استعملها ابن قتيبة في ق٣هـ لم نرها بعدئذ قبل أن يستعملها الشريف المرتضى ، الذي أكد نص له على اهمية الغريزة بالقياس الى الشاعر))(٣٩) ويخيل للقارىء أن الباحث استقصى قضية الطبع الى عصور متأخرة من التأليف النقدي عند العرب وخرج بهذا الاستنتاج. وواقع الحال يشير الى خطل ماذهب اليه الباحث ، فابن شهيد ت٤٢٦هـ قد سبق الشريف المرتضى ت٤٣٦هـ في ايراده مصطلح الغريزة في قوله الذي يضع فيه حدا بين الطبع و الصنعة : ((اذا اصطكت الركب و ازدحمت الحلق واستعجل المقال ولم توجد فسحة لفكرة .. أو في مجالس الملوك عند انسها وراحتها ، فانه يقع فيها ويجري لديهاما لا ينفع له الاستعداد ولا ينفذ فيه غير الطبع و الغريزة المتدفقة فترى ... أهل الصنعة خرس لايسمع لهم جرس))(٤٠)

أما ابن حزم فكان اكثر وضوحا من مواطنه ابن شهيد في تقسيمه للشعر على أساس الطبع والصنعة ، فجعله ((ثلاثة اقسام : صناعة وطبع وبراعة . فالصناعة : هي التأليف الجامع للاستعارة والاشارة والتحليق على المعاني والكناية عنها ، وربُّ هذا الباب من المتقدمين زهير بن أبي سلمى ، ومن المحدثين حبيب بن أوس. والطبع: وهو ما لم يقع فيه تكلف وكان لفظه عامياً لا فضل فيه عن معناه ، حتى لو أردت التعبير عن ذلك المعنى بمنثور لم تأت بأسهل منه ولا اخص من ذلك اللفظ وربُّ هذا الباب من المتقدمين جرير ، ومن المحدثين : الحسن ، والبراعة: هي التصرف في دقيق المعاني وبعيدها والاكثار فيما لا عهد للناس بالقول فيه وإصابة التشبيه وتحسين المعنى اللطيف وربُّ هذا الباب من المتقدمين: أمرؤ القيس ، ومن المتأخرين علي ابن عباس الرومي))(٤١)

ان ملاحظة هذا التباين في نظم لا يخبره الا الناقد المتخصص الذي يميز مذاهب الشعراء وطرائقهم، فلا يخفى عليه الفرق بين هؤلاء الشعراء، ولكن الغريب أن ابن حزم لم يشر الى أحد من شعراء الاندلس، وكأنه لم يجد فيهم من يصح أن يكون ربُّ باب من هذه الابواب ، وهو – ابن حزم- الذي طالما نافح عن شعراء الاندلس

وادبائها في رسالته في فضائل اهل الاندلس وأعلى من شأن شعرائها!! وفي تقسيم ابن حزم شيء من التأثر بالقاضي الجرجاني الذي قدم جريراً وطبقته مثالاً على ذلك (٤٢) لكن لابن حزم فضل إضافة البراعة قسماً ثالثاً.

ويؤكد ابن حزم على أهمية صقل الموهبة بقدر من الثقة، فيرى ضرورة تقوية الطبع ((بالتوسع في قراءة الاشعار وتدبرها)) (٤٣) فيؤكد على ان وجود الموهبة للشاعر ضرورية ولا بدّ منها، لكن قد يلحقها العجز ما لم يتعهدها الشاعر بالعناية ويزودها بالمعرفة.

وقد كان ابن حزم على قدر من الثقافة فضلا عن طبعه الجيّاش ، وقد حاول بعض الباحثين ان ينفي صفة الطبع عن ابن حزم بقوله: ((ابن حزم كان شاعر أبيات ، ومرد هذه الآفة الى انه كان يصطنع الشعر اصطناعاً ، ويحاول ان يبرع فيه ، وما هو من طبعه))(٤٤) وقد جافى الصواب رأي هذا الباحث؛ فابن حزم لم يكن يصطنع الشعر بل كان ((يكثر القول على البديهة ، وربما كان ذلك سبباً في عدم تجويده الشعري لانتقاء الالفاظ الموسيقية والتعابير الشعرية الجميلة))(٤٥) فهو يقول الشعر ((إرتجالاً وهو يجري في شعره على السليقة لا يتعمل فيه))(٤٦) وكيف يكون مصطنعاً للشعر وهو الذي قال مائة بيت (ارتجالا حين بلغته الملعونة قصيدة نقفور غضباً لله ولرسوله ولدينه))؟ (٤٧). فضلاً عن انه لم يكن شاعرابيات كما ذهب الى ذلك الباحث المذكور؛ ففي كتاب طوق الحمامة ((نحو سبعمائة وخمسين بيتاً من الشعر، اكثرها مختارات من قصائد طوال، فمعنى ذلك أن ابن حزم كان له ... مجموع شعر كبير، يمكن اختيار سبعمائة بيتاً منه في موضوع واحد من الادب وهو الحب)) (٤٨) فضلاً عن ان معاصريه طالما أشادوا بطبعه وقوة شاعريته ، فهذا صاحب الجذوة يقول فيه : ((وكان له في الاداب والشعر نفس واسع وباع طويل وما رأيت من يقول الشعرعلى البديهة أسرع منه وشعره كثير))(٤٩)

وابن زيدون يرى انّ الشعر في جوهره وحقيقة امره يقوم أساساً على الطبع وما تجود به القريحة من أشعار: (٥٠)

وما الشعر إلا لمن قريحته عريضة النور غضّة الثمر

تبسم من كلّ زاهر أرج مثل الكمام ابتسمن عن زهر

فمن تعوزه هذه الموهبة لا يمكن ان يكون شاعراً ، فالطبع او الموهبة او الاستعداد الفطري سِرٌّ يولد مع الشاعر وينطفئ بموته ولا سبيل لدينا الى التحقق من مصدره وطبيعته، فهو ((لهيب شمعة غذاؤها من ذاتها))(٥١) والمعتمد بن عباد يفتخر ببديهته التي أهلته ان يكون شاعرا يشار اليه بالبنان: (٥٢)

أتتني البديهةُ تَنْدَى ربيعاً
وأبدعُ ما في الرِّياض النَّدى

وما هذا التفاخر بالبديهة الا لانه يعلم بقوتها المنتجة الفعالة في مجال الخَلْقْ الشّعري ، فهي قوّة نفسية في تركيب الشّاعر الداخلي بمثابة الاستعداد الاولي أو الجذوة التي يحملها الشاعر والقوة المجهولة التي يحسها((المبدعون ولكنّهم لا يعرفون لها سِرّاً))(٥٣)

وابن خفاجة يعلي من شأن الطبع ويمدح من يحمله ، فالطبع السبيل الى نيل الشاعر أعلى المراتب: (٥٤)

وَأَمَا وَطَبْعِكَ إنّهُ لَمبَرَّزٌ فِيْ حَلْبَةِ الشُّعَراءِ وَالكُتّابُ

مُتَخَايِلٌ فِي صَدْرِ كُلِّ جَرِيدَةٍ لِقَصِيدَةٍ وَكَتِيبَةٍ لِكِتَابِ

فما نال الشاعر الاستحسان في قوله إلا لان شعره :((٥٥))

مُتَوَلِّدٌ عَنْ خَاطِرٍ مُتَوَقِّدٍ لَهَبَاً وَطَبْعٍ سَلْسَلٍ دَفَّاقِ

فما تسحر الأشعار إلا لوجود الطبع المتدفق (٥٦)

تَفَجَّر فِيهِ الطّبْعُ فَجْراً وإنَّما
أَطَلَّ بِهِ مِنْ كُلِّ مَا فيه نَجْمُ
وَلَو انَّ سمعاً ثَمَّ يَصْغى لِما دَرَى
أَبَيْتٌ يُرَوُّى أَمْ يُرَاشُ بِهِ سَهْم ؟

ومن هذه الابيات التي يؤكد بها ابن خفاجة على اهمية الطبع ، يبين أن للطبع صلة عميقة بالعيان والوضوح ؛ بوصفه شرطا مهما في حصول الاستجابة وصدور الحكم النقدي بالجودة والاستحسان أو بالرداءة والنفور فاذا كان النص الادبي خاليا مما يشينه و يسيء اليه فأنه يكون مطبوعا لان حصول المتعة قائمة على أساس الفهم والتذوق التي يشير بها المتلقي ، فإذا لم تتوفر هذه السمات كان العمل مصنوعا صنعة ممجوجة .وخلاصة القول : أكد شعراء الأندلس النقاد على أهمية توفر الطبع لدى الشاعر؛ ليأتي شعره خاليا من الصنعة المتكلفة. وعلى ضرورة توفر الثقة لدى الشاعر المطبوع ؛ لتقوى ملكة الشعر لديه فيستقيم طبعه ، إذ لا بد من تفاعل الطبع مع الثقافة . فكما أن الطبع يحتاج إلى الثقافة لانها تبرز طاقاته الكامنة و تجلوها وتبلورها وتنميها ولانها خاصة تنقي وترتب وتنسق وتنظم ما يجود به الطبع ؛ فكذلك الثقافة لا جدوى منها اذا لم تمتزج مع الموهبة وتستند إليها وتتغذى منها . فلا فائدة ترجى من الذين حرموا الطبع وأصروا على الثقافة وحسب . و لا فائدة كذلك من الذين اوتوا حظا من الطبع ولكنهم لم يصبروا على الثقافة وما توجبه من جهد ومثابرة ، وما تمليه من مراجعة للأثر الادبي الذي تنتجه البديهة .

الهوامش:

١- ينظر : الشعر والشعراء ، ٧٧/١.
الوساطة ، ٢٥.
العمدة ، ١٠٨/١.
٢ العقد ، ٥/ ٣٩٤.
٣ - العقد،٣\٢٥٣
٤- م.ن ٥، ٣٩٦
٥ - م.ن ، ٣\١٧٤
٦- ينظر : البيان و التبيين ، ١ \ ١٣٥ _ ١٣٦
٧- الذخيرة ، ق١ م١ ، ٢٧٤.
٨- الذخيرة ق ١ م ١ ، ٢٣١
٩- م . ن . ق١ م١ ٢٦٨-٢٦٩.
١٠- دراسات في النقد الادبي ، أحمد كمال زكي ، ط ٢، دار الاندلس، ١٩٨٠ص .١٢٠
١١- الذخيرة ، ١م١ ، ٢٣٨-٢٣٩.
١٢- الذخيرة، ق ١ مج ١ ص ٢٠٣ -٢٠٤.
١٣- طبقات الشعراء ، ابن سلام ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٢،ص.١٦٣
١٤- الذخيرة، ق ١ مج ١ ص ٢٠٣ -٢٠٤

١٥- مصطلحات نقدية أصولها وتطورها إلى نهاية ق٧هـ ، خير الله علي السعداني ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب – جامعة بغداد، ١٩٧٤،ص.٨١
١٦- م.ن .١١١
١٧- ديوان ابن الرومي ، تحقيق : حسين نصار مطبعة دار الكتب، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ٢/.٥٦٧
١٨- البيان والتبيين، ١/٢٠٦- .٢٠٧
١٩- م.ن ١/.٢٠٧
٢٠- العمدة، ١/١١٠- .١١١
٢١- النقد الادبي في كتاب نفح الطيب ، .١٩٦
٢٢- المثل السائر ١/ .٣٧٤
٢٣- م.ن، ١/.٣٧٤
٢٤- المثل السائر، ١/ .٣٧٤
٢٥- تيارات النقد الادبي في الاندلس ،.٤٦٠
٢٦- مصطلحات نقدية ، .٩٣
٢٧- ديوان جرير بشرح محمد حبيب ، تحقيق: نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف مصر، ١٩٦٩، .١
٢٨- عيار الشعر ،.١٣٧
٢٩- ينظر : إعجاز القرآن ، الباقلاني، تحقيق : أحمد صقر ، دار المعارف – مصر ، ١٩٥٤ ص ٧٢ وما بعدها.
٣٠- الذخيرة ، ق١ م١ ، .٢٣١
٣١- م.ن.
٣٢- الشعر والشعراء ، ١/.٩٠
٣٣- الخصائص ، ابن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، ط٤ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة، ٣،١٩٩٠/.٢٨٢
٣٤- الذخيرة، ق١م.٢٥٦،١
٣٥- الصناعتين،.١٥٩
٣٦- البيان والتبيين،١/.٥٠
٣٧_زهر الاداب، ١|١١٠
٣٨_ الصناعتين ، ١٥٩
٣٩_ مصطلحات نقدية ، ٧٦
٤٠_ الذخيرة ق١ م١ ، ٢٤٤_ ٢٤٥
٤١- رسائل ابن حزم ، رسالة التقريب لحد المنطق،٤/.٣٥٥
٤٢-ينظر : الوساطة، .٢٤
٤٣- رسائل ابن حزم ، رسالة التقريب لحد المنطق / ٤/.٣٥٦
٤٤- ابن حزم رائد الفكر العلمي ، .٥٩
٤٥- ابن حزم ، عبد الكريم خليفة ، .٢٢٨
٤٦- ابن حزم الكبير ، عمر فروخ ، ٧٣- .٧٤
٤٧- البداية النهاية ، ابن كثير ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١١،١٩٣٣/ .٢٤٧
٤٨- ابن حزم الكبير، .٧٣
٤٩- جذوة المقتبس ، .٢٩١
٥٠- ديوان ابن زيدون ، .٩٣
٥١- الشعر والتجربة ، أرثيبالد مكليش،ترجمة :سلمى الجيوسي، دار اليقظة – بيروت ، ١٩٦٣، ص .١٤
٥٢- ديوان المعتضد ، .٥٤
٥٣- الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، أليزابيث درو، ترجمة : محمد ابراهيم ، مكتبة ميمنة ، بيروت ، ١٩٦١، ص .١٨
٥٤- ديوان ابن خفاجة ، ٢٤٠
٥٥_ديوان ابن خفاجه ، ١٦٠
٥٦_ م.ن ٢٨٦ .

قائمة المصادر

١- القرآن الكريم.
٢- ابن حزم ،حياته وادبه. عبد الكريم خليفة ، بيروت ، دار العروبة للطباعة والنشر، د.ت.
٣- ابن حزم رائد الفكر العلمي ، عبد اللطيف شرارة ،بيروت ،منشورات المكتب التجاري .د.ت.
٤- ابن حزم الكبير ، عمر فروخ ، ط١ ،بيروت ،د.ن، ١٩٨٠.
٥- اعجاز القرآن ، الباقلاني، تحقيق احمد صقر، مصر ، دار المعارف ،١٩٥٤.
٦- البداية والنهاية، ابن كثير، القاهرة ، دار الفكر العربي، ١٩٣٣.
٧- البيان والتبيين ، عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون،ط٥،القاهرة،مكتبة الخانجي ، ١٩٨٥.
٨- تيارات النقد الادبي في الاندلس في القرن الخامس الهجري،مصطفى عليان ،بيروت،دار الرسالة،١٩٧٨.
٩- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس، الحميدي ، تحقيق ابراهيم الابياري ، القاهرة ،بيروت،دار الكتاب المصري واللبناني،١٩٨٩.
١٠- الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، ط٤، بغداد ،دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٠.
١١-دراسات في النقد الادبي، احمد كمال زكي ، ط٢، دار الاندلس، ١٩٨٠.
١٢- ديوان ابن خفاجة، تحقيق السيد مصطفى غازي ، مصر، دار المعارف، ١٩٦٠.
١٣- ديوان ابن الرومي، تحقيق حسين نصار، القاهرة، الهيأة المصرية العامة للكتاب، د.ت.
١٤- ديوان ابن زيدون ورسائله، تحقيق علي عبد العظيم، القاهرة ، دار النهضة للطباعة، ١٩٥٧.
١٥- ديوان جرير بشرح محمد حبيب، تحقيق نعمان محمد امين طه، مصر، دار المعارف، ١٩٦٩.
١٦- ديوان المعتمد بن عباد ، تحقيق احمد احمد بدوي وحامد عبد المجيد، القاهرة، المطبعة الاميرية، ١٩٥١.
١٧- الذخير في محاسن اهل الجزيرة، ابن بسام، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٨.
١٨- ذيل زهرة الاداب أو جمع الجواهر في المُلّح والنوادر، الحصري القيرواني، مصر ،د.ت،١٩٥٣.رسائل ابن حزم الاندلسي، تحقيق احسان عباس، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١.
١٩-الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، اليزابث درو، ترجمة محمد ابراهيم، بيروت، مكتبة ميمنة، ١٩٦١.
٢٠- الشعر والتجربة، ارثيبالدمكليش، ترجمة سلمى الجيوسي، بيروت دار اليقضة، ١٩٦٣.
٢١- الشعر والشعراء، ابن قتيبة ، تحقيق احمد محمد شاكر، مصر، دار المعارف، ١٩٦٦.
٢٢- الصناعتين ، ابو هلال العسكري، تحقيق مفيد قميحة، ط٢، بيروت ، دار الكتب العلمية،١٩٨٩
٢٣- طبقات الشعراء، ابن سلام ،بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٢.
٢٤- العقد الفريد، ابن عبد ربه، تحقيق احمد امين وآخرون ، القاهرة، مطبعة الجنة، التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠.
٢٥- العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة حجازي، ١٩٣٤
٢٦- عيار الشعر ، ابن طباطبا، تحقيق عبد العزيز ناصر المانع، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨٥.
٢٧- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، ابن الاثير، تحقيق محمود توفيق الكتبي، القاهرة، مطبعة حجازي، ١٩٣٥.
٢٨- مصطلحات نقدية أصولها وتطورها الى نهاية القرن السابع الهجري، خير الله علي السعداني، رسالة ماجستير ، كلية الاداب – جامعة بغداد ،١٩٧٤.
٢٩- النقد الادبي في كتاب نفح الطيب، هدى شوكت بهنام ، رسالة ماجستير، كلية الاداب ، جامعة بغداد، ١٩٧٥.
٣٠- الوساطة بين المتنبي وخصومه، عبد العزيز الجرجاني، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، القاهرة، مطبعة عيسى ألبابي الحلبي، د.ت.